

أهم الفئات الفرنسية التي اهتمت بدراسة آثار منطقة قالمة و خصائص أعمالها

أ/ بوشارب سلوى/ قسم التاريخ جامعة 8ماي 1945 / قالمة

[selwaboucherab@yahoo.com](mailto:selwaboucherab@yahoo.com)

### الملخص:

حظيت منطقة قالمة (كالما) و ريفها باهتمام كبير من قبل الباحثين الفرنسيين بمختلف تخصصاتهم و انتماءاتهم المهنية و الفكرية منذ بداية احتلالهم لها ،حيث رافق العسكريين في الجيش الفرنسي أثناء حملته على المدينة اداريين و أطباء و مهندسين وجهوا اهتمامهم المباشر بعد نجاح العمليات العسكرية إلى استكشاف آثار المنطقة .

هذه الآثار التي كان البعض منها موجودا فوق سطح الأرض و في حالة حفظ جيدة نذكر على سبيل المثال القلعة البيزنطية التي لجأوا إليها و تحصنوا فيها سنة 1837م،اضافة إلى عدد من المنشآت المدنية الأخرى كالحمامات و المسرح و غيرها.

إن التركيز على دراسة المخلفات الأثرية الرومانية قد دفعت بأولئك الباحثين أن يجوبوا كل القرى و المدن وحتى الأرياف التابعة للمدينة سعيا و راء استكشافها و حتى يتسنى لهم ترميمها و دراستها و كل هذا يندرج بطبيعة الحال ضمن السياسة الاستعمارية الفرنسية الرامية لإيجاد حلقة وصل تربط من خلالها تاريخنا بتاريخها على أساس أنهم ورثة الامبراطورية الرومانية.

### Summary:

It received Guelma (Calama) area and surroundings with great interest by French researchers of various specialization and affiliations professional and intellectual since the beginning of their occupation, where he was accompanied by soldiers in the French army during the campaign on the city , administrators, doctors, engineers, they send direct their attention after the success of military operations to explorations of the relics of the region.

Some of these relics were above the ground and in a good state of conservation, mention for sample the byzantine castle that they refused to it and holed up in the year 1837 where reusing it again add a number of other civilian facilities such as terms, theater and others.

The focus on Romania relics study have been paid those researchers to surf all the villages, towns and even the country side stemming the city in pursuit of exploration and so that they restored and studied all this falls naturally within the French colonial policy aimed to find a link connecting through which our history, history on the grounds that they were the heirs Romanian empire.

#### المقدمة:

شكلت طبيعة البحث الأثري في الجزائر عموما بما فيها بمنطقة قالمة محور نقاش كبير في أوساط الباحثين المحدثين و المعاصرين، و ذلك لما تطرحه من اشكاليات مختلفة يتعلق أغلبها بمشاركة مختلف الفئات الفرنسية في مختلف عمليات البحث و التنقيب الأثري الذي خص جميع أنواع المخلفات و الشواهد الأثرية ليس فقط بمنطقة قالمة بل في كامل المواقع الأثرية بالجزائر مع التركيز على آثار الفترة الرومانية و التي أطلقوا عليها مصطلح الآثار الرومانية (RR) متجاوزين الهوية النوميديّة للبعض منها.

و هو ما دفعني لطرح الاشكاليات التالية: لماذا اهتمت كل الفئات الفرنسية بمختلف تخصصاتها و انتماءاتها الفكرية من عسكريين بالدرجة الأولى و إداريين ، أطباء ، مهندسين هواة و بعض المختصين بأعمال البحث الأثري و كيف أثر ذلك على نتائج

أعمالهم سواء المتعلقة منها بالأعمال الميدانية (التحري و التنقيب) أو تلك الخاصة بمختلف الاجراءات الوقائية الواجب اتخاذها للمحافظة على مختلف المخلفات الأثرية المكتشفة؟.

كما تساءلنا أيضا عن الأهداف الحقيقية من تضافر جهود مختلف تلك الفئات من أجل دراسة تاريخ و آثار المنطقة مع بداية احتلالهم لها؟ أو بعبارة أخرى ما هي الدوافع الحقيقية التي تقف وراء انكباب تلك الفئات على البحث عن آثار المنطقة و دراستها خاصة أن معظم أعمال البحث الأولى تمت مع العمليات العسكرية أي أثناء الاحتلال؟. و للإجابة على كل هذه التساؤلات قمنا بجمع كل تقارير الحفريات الأثرية و مختلف الأبحاث المتعلقة بها و دراستها بكل دقة و موضوعية مع مراعاة تسلسلها الزمني من أجل الوقوف على خصوصيات كل مرحلة مر بها البحث الأثري في المنطقة. و في الأخير ختمنا موضوعنا بالحديث عن أهم النتائج التي توصلنا إليها بعد دراستنا له.

تعتبر الفترة الممتدة من أوائل القرن الثامن عشر (18م) و بداية القرن العشرين أولى و أهم الفترات التي قام فيها عدد كبير من الأطباء،العسكريين،الإداريين،المهندسين،الهواة و بعض المختصين الفرنسيين بمختلف عمليات البحث و التحري و التنقيب في أماكن مختلفة من الشرق الجزائري بصفة عامة<sup>1</sup> و منطقة قالمة (كالما Calama ) و ما جاورها بصفة خاصة و سنتطرق إلى كرونولوجيا تلك التنقيبات بالتفصيل والتي توجهها أصحابها في أبحاث قاموا بنشرها في أهم المجالات و الدوريات التي كانت تصدر في تلك الفترة عن عمالتي قسنطينة و عنابة . و سنبداً دراستنا بالتطرق لأولى الزيارات العلمية التي قام بها بعض الباحثين الفرنسيين و البريطانيين

كتمهيد للمرحلة الأولى من الاكتشافات و التنقيبات و المعنونة ب: الأبحاث القديمة وهي كالآتي:

1- الزيارة العلمية لبيسونال<sup>2</sup> (Jean-André Peyssonel) (1775-1694):

الذي زار مدينة تيبيليس في شهر جانفي 1925م أثناء الرحلة التي قام بها إلى شمال إفريقيا من أجل دراسة التاريخ الطبيعي أين شاهد بعض معالم المدينة حيث تحدث عن الكنيسة الجنوبية والأبواب الأربعة للمدينة<sup>3</sup>. أما بالنسبة لثاني زيارة علمية فقد قام بها الطبيب البريطاني توماس شاو.

2 - أعمال توماس شاو (1694 1751 Thomas Shaw)<sup>4</sup>:

كان ذلك بعد قيامه بأولى رحلاته إلى منطقة شمال إفريقيا التي زار فيها عددا من المواقع الأثرية الجزائرية حيث كان البعض منها يقع ضمن منطقة قالمة والتي تحدث عنها في كتابه الذي نشر لأول مرة باللغة الإنجليزية سنة 1738م تحت عنوان رحلة في مختلف مقاطعات البربر ثم ترجم إلى الفرنسية ونشر مجددا سنة 1830م ، من بين أهم تلك المواقع والمناطق التي ذكرها نجد موقع كالما، منطقة حمام دباغ، تيبيليس، عين تراب، واد الزناتي وغيرها، وتجدر الإشارة بأنه لم يفصل كثيرا بشأنها<sup>5</sup>.

أولا: مرحلة الأبحاث القديمة: بعد تطرقنا لأهم الزيارات العلمية للمنطقة والتي أكدت لنا مدى جاذبية آثار المنطقة للباحثين الأجانب حتى قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر و الذي عرفت خلاله المنطقة أيضا اهتماما أكثر بآثارها لم يسبق مثله و هو ما سنتأكد منه بدراستنا لأهم الأعمال الأثرية و البحثية التي قام بها الباحثون الفرنسيون مع بداية احتلالهم لها. و تشمل الأعمال التالية:

1- أعمال الجينيرال دو فيفيي ( **Duvivier** ) : قام الجينيرال دو فيفيي مباشرة بعد احتلاله لمدينة قالمة سنة 1837م برفع أثري لبقايا كالما القديمة ، مكنه من إنجاز العديد من المخططات و رسم خريطة لها قبل أن يحل محلها العمران الفرنسي الحديث. جمع دو فيفيي كل المعلومات التي سجلها بعد معاينته لجميع المواقع و المجمعات السكنية التي زارها في كتاب نشره سنة 1841م<sup>6</sup>.

## 2 - أعمال رافوازي ( **Ravoisie** ) :

قام المعماري (المهندس) رافوازي بدراسة شاملة لمعظم المخلفات الأثرية ليس فقط بمدينة قالمة بل درس أيضا تلك المنتشرة في الضواحي مثل مجاز عمار، سلاوة عنونة، حمام دباغ ، و نظرا لتخصصه في علم الهندسة فقد قام بإنجاز العديد من المخططات الهامة والمفيدة جدا لمعظم المواقع والمنشآت التي تمكن من دراستها قام بنشر أبحاثه في شكل كتاب سنة 1846م<sup>7</sup>. موازاتا مع رافوازي التحق به عضو آخر قام هو الآخر بالعديد من الاستكشافات الهامة بالمنطقة المدروسة وهو قائد سرب المدفعية السيد دولامار.

## 3 - أعمال دولامار ( **Delamare** ) :

قام دولامار بزيارة لعدد معتبر من المواقع الاثرية مكنته هو الآخر من احصاء و دراسة الكثير من الشواهد والمعالم الأثرية التي منحنا عنها صورة جد واضحة من خلال تلك الرسومات والمخططات الهندسية للعديد من المعالم خاصة تلك التي لم يعد لها وجود في الوقت الحالي<sup>8</sup>.

والجدير بالذكر أنه بالإضافة إلى تلك الرسومات والمخططات السالفة الذكر يوجد نص مكتوب متعلق بمخلفات قالمة متكون من أربع وعشرين صفحة (24) محفوظان

حاليا بمتحف اللوفر بباريس<sup>9</sup>. أما بالنسبة للمنطقة المدروسة فقد أشار الباحث للعديد من المخلفات والمعالم الخاصة بعدد من المواقع التي بحث فيها نذكر منها مجاز عمار<sup>10</sup>، حمام دباغ<sup>11</sup>، سلاوة عنونة<sup>12</sup>.

#### 4 - أعمال أجين قريلوا (Grelloi Eugenne):

و في عام 1844م قدم قريلوا معلومات ثمينة حول الآثار المتبقية في قالمة و ضواحيها بصفة أكثر دقة و شمولية و ذلك على شكل مذكرة قدمها إلى أكاديمية ميتر (Academie de Metz) ما بين سنتي (1851- 1852م). تطرق الباحث في بدايتها إلى الجانب التاريخي للمدينة مناقشا مختلف الفرضيات المقدمة في ذلك الوقت حول أصول التسميات المقترحة من قبل مجموعة من الباحثين ثم تناول الجانب الأثري بها. كما تطرق أيضا إلى آثار حمام المسخوطين الذي خصص له حوالي عشر صفحة (10) . يرى الباحث الجزائري محمد البشير شنيبي بأن هذا العمل هو أكمل الأعمال الأثرية المقدمة حول مدينة قالمة معتبرا إياه بمثابة النص الوصفي لأعمال الباحث دولامار الفنية و المتمثلة كما سبق و أشرنا في الرسومات و الأشكال الهندسية.

صدر بعده كتاب آخر للبارون الألماني هاينيش فون مالتسان (Hienrich von mltzan) تحت عنوان ثلاث سنوات في شمال إفريقيا. لقد خصص الباحث سنتين منهما قضاها بالجزائر ( 1856 - 1857م) مر خلالها بمنطقة قالمة و التي سماها غالمة كما تحدث عن بعض المناطق المجاورة لها<sup>13</sup>.

#### 5 - أعمال شارل دوفينيرال (Charl de Vignerat):

خصص هذا القائد العسكري أيضا جزءا من وقته للعمل الأثري و التحري الميداني بمنطقة قالمة و المناطق المجاورة لها ليؤلف كتابا ضمنه كل ما لاحظته و استنتجه خلال حملته على المدينة و محيطها والذي أبدى فيه اهتمامه الواضح بالمجال الريفي للمدينة<sup>14</sup> .

غير أن طبيعة عمله العسكري في اعتقادي هي التي جعلت نظرتة العسكرية تطغى على أفكاره و ملاحظاته وبالتالي جاءت بعض استنتاجاته خاطئة حيث صنف الكثير من المخلفات الأثرية بأنها ذات طابع عسكري وهو ما ثبت لي بعد قيامي بالمعاينة الميدانية لعدد من المواقع ، و يشاطرنني في هذا الرأي الباحث محمد فوزي معلم الذي يرى بأنه يجب إعادة النظر في جغرافية العديد من المواقع الأثرية التي ذكرها فينيرال لعدم صحتها<sup>15</sup> .

في نفس الوقت الذي آثر فيه بعض العسكريين و المهندسين وحتى المختصين استكشاف و دراسة المخلفات الأثرية العائدة للفترة الرومانية و التي أطلقوا عليها مصطلح الآثار الرومانية ( Ruines Romaines ) متجاهلين الهوية الليبية - النوميديّة للبعض منها خاصة إذا تعلق الأمر بالآثار الريفية . بينما ركز البعض الآخر منهم جهوداتهم على دراسة بقايا فجر التاريخ بالمنطقة و أخص بالذكر:

## 6- أعمال كل من بورقينا و فيدهارب :

الذان خلفاكتابين هامان في هذا المجال ، حيث قام الأول بدراسة المعالم الميغاليثية في منطقة الركنية<sup>16</sup> . في حين قام الثاني بدراسة موقع جبل الطاية و ما يحتويه من مخلفات عظمية وأثرية<sup>17</sup> . تلت الاكتشافات والأبحاث السالفة الذكر دراسات أخرى لا تقل أهمية

من الأولى من حيث الشمولية أو الدقة نشرت كمقالات في حوليات مجلة قسنطينة والمجلة الإفريقية وتلك الصادرة عن أكاديمية هيون. لكن للأسف أن معظمها كان يحاول الحاق المعالم الميغاليئية بالأصول الأوربية متجاهلين امكانية عودتها للأصل المحلية خاصة أن هناك اختلافات كبيرة بينهما سواء من حيث الشكل أو المحتوى وحتى خصائص الامكنة المتواجدة بها.

في حين وجه فريق ثالث منهم اهتمامه بنوع آخر من الدراسات و هو علم النقوش حيث عرفت مختلف الكتابات و النقوش الليبية المكتشفة آنذاك عمليات جمع و نشر واسعة في مختلف المجالات السابقة الذكر و ذلك خلال الفترة الممتدة من النصف الثاني من القرن التاسع عشر(19) وبداية القرن العشرين الميلادي(20). نذكر أهمها:

### 1- أعمال الجنرال فيدهارب (Faidherb):

الذي اكتشف أكثر من 186 نصب جمعها و نشرها في مدونة سنة 1867م<sup>18</sup>. حيث يعتبر هذا العمل الكتالوج الأول للكتابات الليبية التي عثر عليها في تلك الفترة.

### 2- أعمال الطبيب روبو (Dr Reboud):

ونظرا لتتالي الاكتشافات لعدد آخر من الأنصاب الحاملة للكتابات من طرف باحثين آخرين فقد قام الطبيب روبو (Dr Reboud) بإعداد مدونة جديدة نشرها سنة 1870م<sup>19</sup> تحمل عنوان مجمع الكتابات الليبية - البربرية.

### 3- أعمال الباحث شابو (Chabot):

عثر بعد تاريخ 1870م على أعداد كبيرة من الكتابات الجديدة وذلك في الفترة الممتدة من سنة ألف وثمانمائة وسبع وثمانين وألف وتسعمائة وأربعين للميلاد (1887م



1940م) حيث قام الباحث شابو (Chabot) بجمعها من جديد في مدونة أخرى حملت عنوان مجمع الكتابات الليبية<sup>20</sup>. والتي تحتوي على أكثر من 1125 نصب اعتمد الباحث في جمعها على ما جاء في البحوث السابقة .

بدأت بعد هذه السنة مرحلة جديدة بالنسبة لعلم النقوش في الجزائر بصفة عامة حيث ظهرت فيها بحوث أخرى تختلف عن المرحلة الأولى التي اكتفى فيها أصحابها بمجرد الجمع و التدوين ثم النشر. عاجلت موضوعات المرحلة الجديدة موضوع نفس الكتابات والنقوش لكن من زوايا مختلفة و بمناهج أكثر علمية و دقة و ذلك من قبل باحثين مختصين في مجال علم النقوش كالباحث جوداس و كانيا وستيفان قزال وغيرهم.

ثانيا: مرحلة الأبحاث الحديثة (البحث الأثري الأكثر تنظيما): و تشمل هذه المرحلة بروز العديد من الأعمال الأثرية الأكثر شمولية و دقة لأن أصحابها قد اعتمدوا على كل ما جاء في البحوث السابقة لكن بعد اعادة دراستها و تنقيحها و سنذكر أهم أعمال هذه المرحلة و المتمثلة أساسا في أعمال الباحث المؤرخ و الأثري ستيفان قزال.

### 1- أعمال ستيفان قزال (Gsell):

لقد عرفت الحركة العلمية الأثرية مع بداية القرن العشرين نقلة نوعية انفراد فيها الباحث ستيفان قزال (Gsell) بمكانة مرموقة و رائدة على رأس البعثة الأثرية في الجزائر بشكل عام حيث استطاع أن يجمع أكبر قدر من المعلومات التي استقاها من الأبحاث السالفة الذكر ليوظفها جميعا في كتابه مؤلفه الذي نشر عام 1901م<sup>21</sup> و المكون من جزأين تناول فيه الباحث المعالم القديمة في الجزائر بصفة عامة بما فيها منطقة قالمة التي ذكر أشهر المعالم الموجودة بها كالمسرح والحمامات بعاصمة الولاية<sup>22</sup> و حمامات حمام

دباغ و حمام الباردة (حمام برادع) و ضريح العائلة الفلافية<sup>23</sup> و غيرها. و الجدير بالذكر أن الباحث قدم شروحا وافية حولها بالرغم من عدم اهتمامه بذكر كل المعالم التي تتوفر عليها المنطقة مكتفيا كما سبق و أشرنا للبعض منها فقط.

كما قام الباحث خلال هذه الفترة أيضا بجمع و تدوين أكبر قدر من الدراسات والأبحاث السابقة والمعاصرة له لكتابة أشهر مؤلفاته وأهمها بالنسبة لدارسي علم الآثار بالجزائر الذي نشره سنة 1911م<sup>24</sup>. حيث لا يمكن لأي باحث أن يدرس آثار أي منطقة في الجزائر دون الرجوع إليه. لأن هذا العمل في الحقيقة هو أكثر الاعمال السابقة جميعا شمولية من حيث عدد المواقع المدروسة فيه و دقة المعلومات المقدمة حولها إذ غطى تقريبا كل المواقع بمنطقة قالمة<sup>25</sup>، باستثناء بعض المواقع الريفية التي اكتفى في الكثير من الأحيان بمجرد ذكرها أو الإشارة إليها دون أي تفصيل شأنها. و لعل في اعتقادي هذا الذي ترك باب البحث لا يزال مفتوحا أمام الباحثين لتصحيح ما جاء خاطئا أو ذكر ما بقي مهمشا أو التفصيل فيما جاء مختصرا.

تمكن الباحث خلال نفس المرحلة أيضا من اقتحام ميدان آخر في مجال البحث الأثري بإنجازه لكتاب خصصه لدراسة المعالم الجنائزية و حياة شعوب فجر التاريخ إلى غضون القرون الأخيرة قبل الميلاد في جزأين الخامس و السادس من موسوعته التاريخ القديم لشمال إفريقيا<sup>26</sup> معتمدا في ذلك أيضا على جمع كل المعطيات و المعلومات التي قدمها باحثوا القرن التاسع عشر و العشرين (19 - 20م) وضع من خلالها تصنيفا أوليا للمعالم الجنائزية مصحوبا بتوزيعها الجغرافي، ثم ألحقه بتصنيف ثان أكثر وضوحا و دقة من الأول<sup>27</sup>.

يرى الباحث ساحد طارق أن أبحاث ستيفان قزال في هذا المجال تعد من أهم الأعمال في فجر التاريخ من حيث الإثراء والمنهجية والتي لا غن للباحثين المعاصرين عنها<sup>28</sup>. حيث وجدناه فعلا قد قدم فيها شروحات و توضيحات هامة حول نمط معيشة شعوب فجر التاريخ و أهمية دور المجتمعات الريفية في بلاد المغرب عموما والجزائر خصوصا بما فيها منطقة قالمة معتمدا في ذلك على نصوص المصادر القديمة<sup>29</sup> وهو الأمر الذي دفع ببعض الباحثين في اعتقادنا لاعتباره مؤرخا أكثر منه أثريا<sup>30</sup>. لكن ما يلاحظ دائما على هذه الأعمال هو سيطرت إيديولوجيات معينة على الأفكار المراد إيصالها ومثال ذلك هو إعادة تكرير الطرح ذاته بشأن هوية العديد من المعالم الأثرية نذكر منها استماتة الباحث ستيفان قزال في الدفاع عن أحقية انتساب المعالم الميغاليبية للأصول الأوروبية ونعتها بمصطلح الدولن بالرغم من أنه لا يتطابق مع شكل معالمنا.

في الحقيقة أن الباحث ستيفان قزل كان موسوعي التكوين الأمر الذي جعله ينجح في دخول العديد من الميادين والتخصصات وهو ما يؤكد العمل الموالي له في مجال علم النقوش، إذا استطاع الباحث أن ينجز عملا هاما جدا نشره سنة 1922م<sup>31</sup>.

جمع فيه كل النقيشات اللاتينية المكتشفة بمعظم المواقع في الجزائر مع بيبلوغرافية لكل منها وبالنسبة للنقيشات الخاصة بمختلف المواقع التابعة لمدينة قالمة فهي موزعة على الجزئين الأول الخاص بالبروقنصلية والثاني الخاص بنوميديا لأن الاطار الاداري لتل المواقع لم يكن تابعا لنفس المقاطعة طيلة الفترة الرومانية فعلى سبيل المثال كانت مدينة تيبيليس(سلاوة عنونة حاليا) تابعة لمقاطعة نوميديا بينما كانت مدينة كالم(قالمة)تابعة لمقاطعة البروقنصلية بالرغم من تجاورهما جغرافيا. في الحقيقة أنه يتعذر علينا ذكر كل

أعمال هذا الباحث في هذا المقام لذا اكتفينا بالحديث عن أهمها فقط في انتظار التطرق إلى أبحاثه الأخرى بالتفصيل في عمل ننجزه يكون خاصا بالباحث وحده إن شاء الله .

#### خاتمة:

بعد دراستنا المتواضعة لهذا الموضوع الهام جدا و الجدير بالبحث فعلا لأنه يتعلق بالتعرف على أهمية تراثنا الأثري من جهة وعلى مختلف الكيفيات و الطرق التي استعملها باحثو المدرسة الاستعمارية في الكشف عنه ثم دراسته من جهة ثانية ثم الكشف عن النوايا و الأهداف الحقيقية التي دفعت بهم للاهتمام المتزايد واللامتناهي به منذ بداية احتلالهم لبلادنا و حتى بعد استقلالنا خلصنا في الأخير إلى النتائج التالية:

- لقد أظهر العسكريين الفرنسيين اهتمامهم الكبير منذ بداية احتلالهم للجزائر سنة 1830م بالبحث الأثري من خلال التحريات الميدانية و تدوين كل ما يصادفهم أثناء حملاتهم العسكرية في شكل تقارير استعملوها في أعمالهم الأثرية الميدانية فيما بعد و هو ما حدث كذلك بالنسبة لمنطقة قالمة كما سبق و أشرنا.

- في الحقيقة أن وجود مهندسين و أطباء و إداريين إلى جانب العسكريين ضمن الجيش الفرنسي المكلف باحتلال الجزائر جعلنا نربط بين أهمية وجودهم و بين رغبتهم الشديدة الوضوح في الكشف عن آثار المنطقة و مباشرتهم لأعمالهم الأثرية الميدانية بعد تنفيذهم للعمليات العسكرية و نجاحهم في احتلالها مباشرة و بالتالي أدركنا أن الأمر لم يكن من قبيل الصدفة و أنهم ربما أعجبوا بمختلف أنواع المخلفات الأثرية البارزة فوق سطح الأرض و إنما كان مخططا له و الذي زادنا ثقة هو اهتمامهم بمخلفات الفترة الرومانية دون سواها كمرحلة أولى.

- تسبب اهتمام الفرنسيين الأوائل بمخلفات الفترة الرومانية في تدمير العديد من المخلفات و الشواهد التي تعود للفترات والعهود السابقة خاصة المرحلة اللبية البونية- النوميديية و التي نسبوا الكثير من مخلفاتها الباقية إلى المرحلة الرومانية.
- إن عدم تخصص الكثير من الباحثين الأوائل في علمي الآثار و التاريخ كان سببا في خطئهم بشأن تصنيف عدد من المعالم و الشواهد الأثرية فمثلا طغت النظرة العسكرية بالنسبة للعاملين في هذا الميدان على ملاحظاتهم و استنتاجاتهم المتعلقة بتحديد طبيعة الكثير من المنشآت التي قاموا بتصنيفها على أنها عسكرية في حين تبين لنا و للعديد من الباحثين المعاصرين بعد قيامنا بالكثير من الأعمال الميدانية بأنها منشآت مدنية البعض منها ذو صبغة فلاحية كانت عبارة عن مستثمرات وضيعات.
- الكثير من تلك المستثمرات خاصة المتواجدة بالمناطق الريفية و التي في الغالب كانت ملكا للأهالي النوميدي تم تصنيفها أحيانا على أساس أنها منشآت عسكرية و أحيانا أخرى تم اهمالها و لم تذكر إطلاقا.
- لقد شكلت مسألة هوية الكثير من المخلفات و الشواهد الأثرية المادية نقطة جوهرية و مسألة خلاف حقيقية بالنسبة للباحثين الفرنسيين سواء غير المختصين أو المختصين منهم حيث يكاد يتفق أغلبهم في شأن نسب تلك المخلفات بشتى أنواعها وكذا على اختلاف الفترات الزمنية المنتمية إليها إلى أصول أجنبية مشرقية و غربية بالدرجة الأولى. في محاولة منهم للربط بين ماضيهم و ماضينا و بالتالي إيجاد صلة حضارية تربطنا بهم لدرجة أن هذه الفكرة أصبحت من الفرضيات الواجب إثباتها في كل مرحلة في انتظار تحويلها إلى

مسلمات مع مرور الزمن لا يجوز مناقشتها و الأمثلة كثيرة نذكر منها محاولاتهم الحثيثة بشأن ربط معالم فجر التاريخ المغاليتية بنظيرتها في أوروبا رغم الاختلافات الكبيرة بينهما .  
- لاحظنا كيف اهتم أولئك الباحثين بدراسة آثار المنطقة و على أي أساس صنفوها و حددوا هويتها و بالتالي لن نكون غير موضوعيين إذا قلنا بأنهم قاموا بذلك لتحقيق أغراض استعمارية محضة وعلى هذا الأساس صنفنا اهتمامهم بها في خانة الأهداف الشخصية.

- و مع ذلك فمن واجبنا اعطاء كل ذي حق حقه لذا نحن مدينين لهم لأنهم مكفونا بطريقة أو بأخرى من استكشاف أعداد لا تحصى من المخلفات و الشواهد المكونة لتراثنا الأثري المادي خلال العصور القديمة من خلال تفانيهم في القيام بكل الأعمال الأثرية الميدانية و ما نتج عنها من دراسات علمية لا يمكن لأي باحث معاصر الاستغناء عنها بالرغم من الأهداف الإيديولوجية المختلفة التي تحملها في طياتها و هنا تكمن مسؤوليتنا و دورنا كباحثين في إعادة غريبة ما كتب و الاستمرارية في البحث عن الحقيقة لإعادة كتابة تاريخنا بعيدا عن الذاتية و بكل موضوعية.

<sup>1</sup> ساعد عبد العزيز طارق : التعمير البشري ببلاد المغرب في فترة فجر التاريخ نموذج المعالم الجنائزية بمناطق الأوراس دراسة أثرية معمارية، دكتوراه في آثار ما قبل التاريخ ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2008\_2009م، ص 19.

<sup>2</sup> و هو جان أندري بيسونال من عائلة نبيلة أبوه سال بايسونال و أمه آن ازوارد، زاول دراسته الأولى في مرسيليا بكوليج ديسبرس Collège Despers ، ثم أتمها في العاصمة الفرنسية باريس ، وقد وجهه الكونت مارسيلي Le Compte Marsigli صديق العائلة إلى الاهتمام بالتاريخ ،

الطبيعي. عين في 21 أوت 1723 مراسلاً لأكاديمية العلوم كما عمل طبيباً في مرسيليا ثم أرسل إلى إفريقيا الشمالية بأمر ملكي بهدف دراسة التاريخ الطبيعي للإيالة الجزائر وتونس وكان هذا في 1733. وكان مشاركاً للجمعية الملكية في لندن Associé de la Société Royale de Londonn و Montpellier de Marseille et Rouen . ينظر Bage, Doris : Recherche sur la topographie urbaine de Cirta Constantine, D.E.A, université de Montpellier Paul Valery, UFR III, 2004, p. 16

<sup>3</sup> الطيب بوساحة : التراث المادي لمدينة تيبيليس الأثرية، مجلة المعالم، ع10، مارس 2009، ص 13.  
<sup>4</sup> و هو طبيب بريطاني تحصل على الدكتوراه في الطب من جامعة أكسفورد، كما يعتبر من أشهر الأوروبيين الذين زاروا شمال إفريقيا التي استقر فيها لمدة اثنتا عشر سنة خاصة بمقر إقامته الجزائر العاصمة، حيث عمل كاهناً لدى المصارف الإنجليزية، وهو عالم استعمل المنهج العلمي مستعينا بكل من الجغرافيا القديمة وعلم المنطق، كما اعتمد على الآثار، وعلم الكتابات القديمة فجمع بذلك كل المعارف المتعارف عليها في عصره . كما أنه اعتمد في الميدان العلمي على دراسة المناخ، الإنتاج الطبيعي و الزراعي والحيوانات كما اعتمد على مجموع ملاحظات البيانات المنتظمة وكان يقوم بنفسه بالتجارب وفي بعض الأحيان يطلب المساعدة من علماء أكسفورد إن شاو يحمل صفات تلك الفترة أين كان الفكر العلمي في خدمة الرأسمالية الأوروبية ورؤيتها للعالم. ينظر : op-cit , p 16,17.

<sup>5</sup> Shaw (Th), Voyage dans la régence d'Alger, paris 1830 p 372-375.

<sup>6</sup>Duvivier( Gnl), Recherches et Notes sur la portions de l'Algérie au sud de Guelma ,paris 1841,p36-37.

<sup>7</sup>Ravoisie, Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années, 1840, 1841,1842.

<sup>8</sup>Delamar (Ad.H.Al), Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années, 1840, 1841,1842.1843.1844.1845.Imprimerie nationale paris.

<sup>9</sup>Gsell (Stph), A.A.A, T1,F9 N 146,ed Alger 1997,p 18.

<sup>10</sup> Ravoisie, Op-cit,p1-2.

<sup>11</sup> Ibid ,p 3-5.

<sup>12</sup>Ibid , p5-8.

<sup>13</sup> هاينيش فون مالستان: ثلاث سنوات في شمال إفريقيا ، تر محمد العيد دودو ، مجلة المعالم، ع10 ، 1998 م، ص 13.

<sup>14</sup> Vigneral (Ch), Ruines Romaines de l'Algérie subdivision de Bône, cercle de Guelma, paris 1867.

<sup>15</sup> محمد فوزي معلم : المنشآت و المعالم الريفية بسلسلة جبال ماونة و ضواحيها جنوب قالمة، رسالة دكتوراه في الآثار القديمة ، معهد الآثار ،جامعة الجزائر2، 2014 \_2015. ص 32.

<sup>16</sup> Bourguignat (M.J.R), Histoire des monuments mégalithiques de Roknia, paris 1868.

<sup>17</sup> Faidherbe (M)General, Eduard( L), Djebel-Thaya, Paris 1870.

<sup>18</sup> Faidherbe (M)General, Collection Faidherb complète des numidiques inscriptions ,paris 1867.

<sup>19</sup>Reboud(M), Recueil des inscriptions libyico- berbère , paris 1870.

<sup>20</sup>Chabot(J-B), , Recueil des inscriptions libyques, imprimerie nationale ,paris 1940.



- <sup>21</sup>Gsell(St), Les Monuments Antiques de L'Algérie, T1, T2, Ancienne librairie Thorin et fils Albert fontemoing, paris, 1927. Atlas Archéologique de l'Algérie, T1, (textes),Ed Alger, 1997.
- <sup>22</sup> Ibid T1 ,p 196, 351.
- <sup>23</sup>Ibid, T2, p66.
- <sup>24</sup> Gsell(St), Atlas Archéologique de l'Algérie, T1, (textes),Ed Alger, 1997.
- <sup>25</sup> Ibid ,F9,N146.
- <sup>26</sup> Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du nord, Edit Hachette, paris, 1927.
- <sup>27</sup>Ibid , T5 p 228 , T6 p 302.
- <sup>28</sup> طارق ساحد : المرجع السابق، ص 22.
- <sup>29</sup> Gsell, Herodote, Textes ancienne relative à l'Afrique du nord, A. Jordon Alger, p 253.
- <sup>30</sup>Camps, monuments et rites p26.
- <sup>31</sup>Gsell, Inscriptions Latines de L'Algérie, T1,T2, librairie ancienne Edouard champion , 1922.